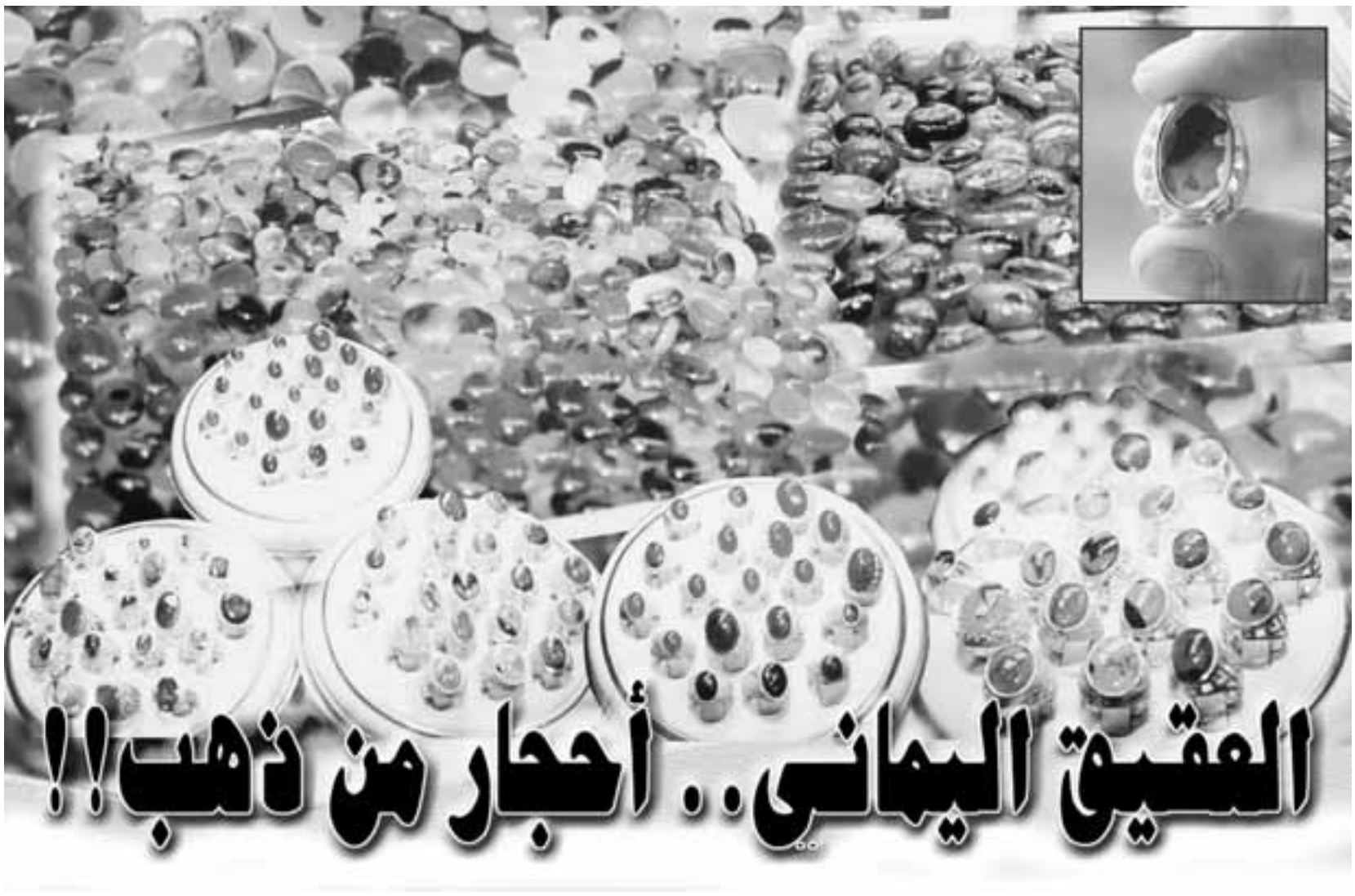

الحرفيون يشكون الإهمال والعقيق المستورد ينافس بقوة

اعتقادات: لبس العقيق يسر الخاطر ويريح النفس والتختم بالأحمر والأصفر ذى الخطوط البيضاء يقطع نزيف الدم عن حامله

تحقيق / عبدالله محمد حزام

ما زال تاريخ الأحجار الكريمة يهيمن على مناظرها المذهلة .. أنظروا إلى «العقيق اليماني» الذي تنساب أسطورته مثل شعاع وهاج عبر حقب حضارية متتالية .. تجسد مشهدية من الرمزية الدينية وثقافة الجمال الخلاقة لدى اليمنيين ، ويورد الهمداني في «الجوهرتين العتيقتين» بالاستناد إلى نص قرآني .. ذكر الله عز وجل عرش بلقيس ملكة سبأ «وكان كرسياً من ذهب مكلل بالجوهر» ومن الهدايا التي قدمتها الحاكمة الفاتنة لإمبراطورية تجارية عربية واسعة لنبي الله سليمان «عليه السلام» ٩٥٠ق.م «جواهر الياقوت والزمرد والعقيق والزبرجد والذهب» .

واعتبرها مؤرخو العالم رمزاً لكنيسة المستقبل بل صارت ملكة الشرق المرصعة بالجواهر لتأخذ قسطاً وفيراً من الأعمال الروائية العالمية كرواية «جينا لولوبر يجدا» التي تم تصويرها عام ١٩٥٩م في فيلم تاريخي .

ليس الأعمال الروائية فحسب شاهدة على تاريخ بعيد .. فأيام الجاهلية كان العقيق يثير جلبة من نوع مقدس .

يقول عالم الأحجار الكريمة البيروني : إن صنم هبل الذي كان في الكعبة من عقيق يماني أحمر .

وهذا المؤرخ «سترابون» المتوفى سنة ٢٤م يقول « سبأ في بلاد اليمن السعيدة كانت ترصع الأواني وأدوات الشرب والأبواب بالعاج والذهب والفضة والأحجار الكريمة .

ويزكي ألق العقيق اليماني توثيقات عدد كبير من المؤرخين التي تقول : وصل العقيق اليماني إلى أوروبا في وقت مبكر .

وحفز هذا الوصول فيلسوف اليونان «ارسطو» ليقول في جمع من تلامذته : إن أجود أنواع الجزع والعقيق كانا يجلبان من اليمن وهما أفضل جودة من الهندي .

وأكد البيروني لاحقاً منافسة العقيق اليماني إذكان يباع «الفص» منه في سوق بغداد بثلاثة دنانير ، ودونت السنة النبوية المطهرة مواقف الثقافة الدينية إزاء الأحجار الكريمة وتحديداً العقيق ويروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « تختموا بالياقوت فإنه ميمون مبارك» .

توثيقات علمية

عكف علماء عرب ومسلمون بعدها على دراسة المعادن والجواهر بشكل مستفيض وكان للعالم الجليل الهمداني شرف السبق في توثيقها علمياً سليماً في القرن الرابع الهجري في مؤلفاته ، ثم البيروني في كتابه «الجماهر في معرفة الجواهر» كذلك التيفاشي خبير المعادن الشهير ألف كتاباً أسماه «أزهار الأفكار في جواهر الأحجار» وخص فيه باباً للعقيق .

ويورد الهمداني تسميات دقيقه للعقيق ويقول : أخذ تسمياته من ألوان ثمر النخل فيقال الينع «للأحمر» والرطبي» للأصفر» والتمرى للمائل للسواد وفي الأعم ارتبطت تسمية العقيق بالعقيق الأحمر وضروبه «اليماني ، أو الأحمر أو الأصفر» حسب تصنيفات الهمداني .

ومصدرها جبل الهان في آنس ويذكر المهندس عبدالحكيم عثمان أن أماكن تواجد العقيق وتعدينه في منطقة ملص مغرب عنس ومنطقة غنم .

ويصف البيروني خاصية اليماني بالصفرة الذهبية المشرقة اللون ، وسمي مذهباً .

وذهب التيفاشي إلى أن العقيق خمسة أنواع «الأحمر – الرطبي – أحمر لصفرة – أزرق – أبيض ،أسود .. ومواطنه اليمن .

اعتقادات مغرية

لكن ألوان العقيق الأخاذه التي تشع بالبهجة ليست وحدها المغرية فلطالما جذبت المتدينين وحتى العوام لتلك «الفصوص» التي أضفت عليها السنة المطهرة مسحة قدسية وقبل ذلك تذكر أمهات الكتب اعتقاد الانسان القديم بمنافع الأحجار الكريمة وفوائدها عبر حضارات العالم التوحيدية الثلاث.

أغلب الظن ان لبس العقيق يسر الخاطر ويريح النفس بالتأكيد نحتاج للكثير من هذا الشعور المفقود في زمن (الفالصو) ويروى بطرق مختلفة ان عائشة رضي الله عنها قد تزينت بعقد من جزع ظفار ويدخل الجزع ضمن أحجار السعد ويقول التيفاشي : (من تقلد بالأحمر شديد الحمرة سكتت عنه روعته عند الخصام ومن تختم بالأحمر المصفر الذي فيه خطوط بيض قطع عن حامله نزف الدم.

لقد وجد العقيق الأحمر مع الياقوت طريقه اولاً للدخول ضمن قائمة أحجار السعد التي تلبس في شهر يوليو.

وارتبطت الأحجار الكريمة ومن بينها العقيق بعلم الفلك ودائرة البروج وخصص لكل شهر من أشهر السنة حجران تسمى بأحجار الشهر ويوزع لبس احجار السعد على السنة وهي ٢٤ حجراً.

والمذهل اليوم هو استخدام بعض بلورات الأحجار لمعالجة بعض الأمراض من خلال ماتصدره تلك البلورات من اشعاعات غير مرئية.

الواقع الحقيقي

لنبقى قريباً ونتحدث عن واقع العقيق اليماني في أسواقنا المحلية وددت لو باستطاعتنا القول إن جماعات السياح الأجانب القادمين الى مدينة «سام» مشغولين بشهرة العقيق اليماني ليسو مجبرين على ذلك ما دام العقيق المستورد بتشكيلاته البديعة والأنيقة يحتل تلك الصناديق الزجاجية كمنافس من الصف الأول يقف على مرمى حدقات السياح فيما تظل تشكيلات العقيق اليماني تقليدية وبدائية لاتحفز على الدهشة.

ويقول زكريا الثمنة معلم عقيق: حرفة العقيق لم تتطور فاستخدام الادوات القديمة امر مالوفا وسائد يفترض ان تدون هذه الادوات ضمن قائمة التراث لتذهب الى المتحف ويمر تشكيل العقيق بمراحل مضنية تصل الى (١٠)مراحل كي يتم الحصول على قص.

أسئلة الغياب

بالطبع لم يسال أحد حرفيي العقيق بسمسرة النحاس سؤلاً مهماً ربما يأتي حتى من شحاذي الخميس المترددين على السوق وهو :لماذا لم تتطور حرفة العقيق لنرى مهارات جديدة موجودة تصنيع ؟

الأفضل هو سماع دوران الآلات التي منحتها اليابان لمركز الحرف اليدوية.

يقول زكريا الثمنة :إنها معطلة ودون صيانة ولاتتوافر لها قطع الغيار وقبل ذلك لاتعطى الصلاحية للحرفيين للعمل في معمل العقيق.

في الواقع يضطر حرفيو العقيق بصنعاء القديمة لبيع مشغولاته التقليدية من العقيق بأثمان زهيدة كي يحصل على قوت يومه.

ورغم تهديد المستور من العقيق الهندي والايراني الا ان العقيق اليماني ذو الاشكال الطبيعية يظل غالي الثمن ويستمد ذلك من أشكاله الطبيعية حيث ترتسم على العقيق أشكال تجعلنا نسبح الله كثيراً «كالكعبة المشرفة أو لفظ الجلالة (الله) و(محمد) وشكل (عين الهر)، إنها مدعاة لتبجيل العقيق اليماني مجدداً.

لكن ذلك ليس كافياً ويقول على صدقة أحد أهم المهتمين بحرفة العقيق: دور الحرفي وموهبته أمر مهم لإظهار أشكاله الطبيعية البديعة.

يذكر صدقه :أن دفعتين من حرفيي العقيق تدربوا بمركز الحرف اليدوية بسمسرة النحاس على يد خبير ومدرب أحجار كريمة هو المعلم (واجيرا) سيرلانكي الجنسية، غير أن ستة حرفيين فقط هم قوام من يعمل في الحرفة حالياً.

ويعزى سبب ذلك إلى غياب الاهتمام الرسمي بالحرفة حسب صدقه.

وبنبرة فيها الكثير من التذمر يقول: شركات القطاع الخاص هي من تقوم بعرض مشغولات العقيق في المعارض الدولية ويتساءل لماذا لا تتبنى الجهات المعنية كوزارات الصناعة والثقافة إدارة هذا النوع من الاستثمار عبر حرفيي العقيق ويتطلع حرفيو العقيق إلى أن تعي الجهات المعنية طبيعة دورها تجاه الحرفة، ينبغي بذل المزيد من الاهتمام فالحرفي حتى اليوم لا يستطيع إرسال العقيق الخام لتشكيله في معامل بالخارج لينافس المستورد هكذا استهل «منصور» حرفي عقيق مفردات آلامه.

ومن الواضح أن واقع الحال يستلزم الرثاء يقول منصور: أمور كثيرة تعيقنا، فالمادة الخام التي تصلنا من أماكن استخراج العقيق مشوهة ومشرخة وفي الغالب تالفة لأن استخراجها يتم بشكل عشوائي من قبل مواطنين لا من قبل مختصين.

واستنكر تلك الطرق البدائية في استخراجه وقال: العقيق عبارة عن عروق لو قطعت بشكل خاطئ قد لا يعرف مكانها ثانية.

طالتهم البطالة

لم يفلح البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة في منتصف التسعينات في إنعاش حرفة العقيق الى أمد بعيد فبانتهاء حالة الدعم الوقتية التي قدمها البرنامج لسمسرة النحاس تبدل وضع الحرفيين وصار يتدحرج الى الأسوأ.

ويقول علي صدقة: فوجئنا بمطالبة الكهرباء لنا بمبالغ خمسمائة الف ريال في وقت كنا ندفع فيه المبالغ شهرياً للهيئة، أيضاً الايجارات هي الأخرى لم تعد مجانية فقد تصاعدت بشكل مخيف منذ العام ٩٥م داخل سمسرة النحاس.

ماذا يسع حرفيو العقيق القابعين في منازلهم القيام به لحماية أنفسهم؟ لقد طالتهم البطالة.؟

وتظهر الدكاكين والفراغات المغلقة في سمسرة النحاس ذلك بجلاء، فالسمسرة تحوي حوالي (٥٢) فراغاً المشغول منها (١٠) فراغات تستغل من قبل حرفيي عقيق مغامرين.

وحالياً تتبع حرفة العقيق وزارة الثقافة والسياحة، بعد أن كانت واحدة من الحرف التي تدخل قائمة مشروع تطوير ودعم الحرف والصناعات الصغيرة بوزارة الصناعة، ربما الآن صارت أكثر سطوعاً في حقل التراث بينما ينتظر الحرفيون من الجهات المعنية الرغبة للبدء بجهود جديدة تعيد لهم البهجة، والإزدهار للحرفة.

ويؤيد حسين الهمداني مدير إدارة الصناعات الصغيرة بوزارة الصناعة والتجارة تبعية تطوير الحرف لوزارته .

وقال: كنا بصدد تقديم مشروع دعم لتطوير الحرف عبر مشروع المانى غير أن وزارة الصناعة مطلع العام ٢٠٠٣ اعتذرت بعد ظهور حالة التنازع على تبعية الحرف بين وزارة الثقافة .. والهيئة العامة للمحافظة على المدن التاريخية من جهة ووزارة الصناعة من جهة أخرى.

وفي حال استغلت حرفة العقيق عاجلاً أم آجلاً سوف تدر عائداً استثمارياً محفزاً على مزيد من الالتفات لواقع الحرف الأخرى.

والخبر السيء هو النظر إلى الأحجار الكريمة على أنها واجهة سياحية وثقافية فقط، وإغفال أثرها في السوق الاستثمارية لتدر عائداً مأمولاً.

هنا المشكلة!

ومع بقاء دور القطاع العام المعني بالحرف خارج دائرة الفعل ستظل حرفة العقيق مجرد "حالة تراثية".

لكن أين المشكلة..؟ يقول المهندس جمال كشيح وكيل الهيئة العامة للمحافظة على المدن التاريخية.. ومدير الحرف اليدوية سابقاً.. لقد لبى برنامج الأمم المتحدة الانمائي احتياجات مركز الحرف اليدوية والمتدربين لفترة محدودة متفق عليها مع الحكومة، حينها بذلت جهود مكثفة لإطالة أمد دعم البرنامج لأشهر وتم ذلك .

وحاول القائمون على مركز الحرف اليدوية آنذاك من خلال عدة مطالبات دفع دعم المركز حتى وصل الدعم في العام ٩٨ م إلى خمسة ملايين .

إن التحديات لاتزال كبيرة جداً فارتباط مركز الحرف اليدوية بالهيئة وقتها كان كفيلاً بالقضاء على ميزانيته يقول كشيح: كانت الميزانية تذهب ضمن بند مصروفات خاصة بالهيئة، ما جعل المركز الوطني للحرف اليدوية "سمسرة النحاس" عاجزاً عن شغل الفراغات والدكاكين التي فتحت.

ومازاد الأمر سوءا هو إصابة مركز الحرف اليدوية بشلل تام فلم يعد بعدها قادراً على فتح مجال تدريب وتأهيل الحرفيين ، لكن ما يحسب له أنه خرج ما يقارب الـ (٧٢٠٠)حرفي يعمل فيهم في الحرفة حالياً نفر قليل.

وأعاد كشيح ذلك إلى تسخير ميزانية المركز من قبل الهيئة لتغطية فعاليات أخرى.

استغلال بدائي

إذا كان هناك من انتكاسة أخرى للعقيق وبقية الأحجار الكريمة في بلاد سبأ فهو في غياب المسوحات والاستكشافات الجيولوجية.

إضافة إلى ذلك الطريقة البدائية لاستخراج هذه الأحجار تقول فاتن المبرى .. مديرة المختبر المركزي بوزارة النفط والثروات المعدنية نستقبل عينات عقيق مشوهة لأن استخراجها يتم من قبل مواطنين باعتبارها ملكاً خاصاً.

ولنا أن نتصور كيف سيكون شكل العقيق والزمرد الذي يستخرج بآلة "كالكمبريشن" بالتأكيد سيتلف الجزء الكبير من هذه الأحجار.

وسط هذه المنغصات يتحدث المهندس عبدالحكيم عثمان المؤسسة العامة للثروات المعدنية عن تطمينات نظرية ويجادل بالقول: لدينا قاعدة معلوماتية هامة وهي الخرائط الجيولوجية للصخور والتراكيب الجيولوجية المتنوعة في اليمن، والتي يمكن من خلالها استقراء بعض الشيء عن البيئات الجيولوجية والتكتونية المناسبة لتواجد الأحجار الكريمة في اليمن.

وعمد عثمان مؤلف كتاب الأحجار النفيسة إلى التعريف بمعادن البقران، والعقيق، والجزع، والبشب في اليمن بشكل حضاري للاستثمار والاستثمار السياحي.

إنه جهد يستحق الثناء لقد دون قرابة (٣٠) ضرباً منها ذات جودة عالية تم فرزها معملياً.

هل من مجيب

في هذه الأثناء سيتطلب منا الأمر إدراك الأهمية الكبيرة لهذه الأحجار كثروة وطنية يعول عليها أن تسهم بشكل كبير في دعم الاقتصاد الوطني ، لكن ذلك مرهون بحسن استغلالها وجودة صناعتها وتسويقها ودعم حرفييها ، الذين يواجهون تحدي المستور حتى يصبحون في وضع أفضل فهل من مجيب؟.

تصوير/ محمد حويس

استخراج العقيق يتم بطريقة مشوهة والقلق يداهم الحرفيين

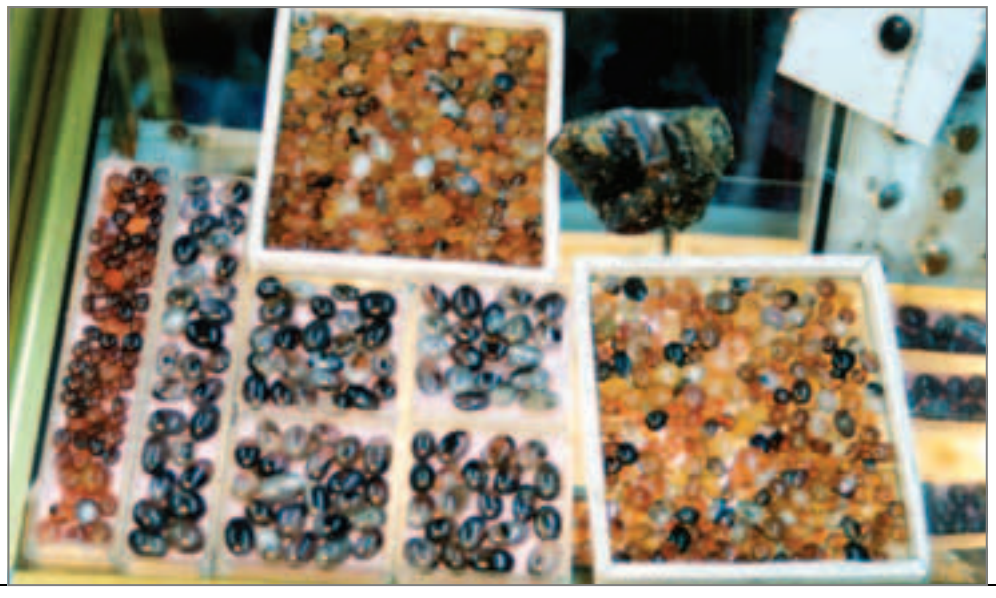

تأملات

محمد العريقي

نظرة لعيوب العرب

●على طريق الاهمال واللامبالاة يستمر العرب في سيرهم وكل إمكانية قدرتهم على التخطيط والتفكير لا تتجاوز التحكم بيوم واحد .. فالانفاق ليس له حدود والتدبير على مستوى اليوم الواحد (وغدا لها ظروفها) هكذا هي حكمتهم في الحياة .

● كاتب ياباني حفزته حياة الفوضى التي يعيشها العربي فخرج ببحث شيق أصدره في كتاب ونشرت مجلة (وجهة نظر) المصرية في عددها الاخير ملخصا لهذا الكتاب قدمه الاستاذ محمد ابراهيم الدسوقي الكاتب الياباني نوتوهارافان الذي يتقن اللغة العربية جمع ملاحظاته خلال الفترة الطويلة التي قضاها بالمنطقة العربية .

● الباحث الياباني أجرى تشريحا واقعيا مؤلما للشخصية العربية المعاصرة ووضع يده على مواطن الخلل والعيوب وجذور ما نعانيه من ضعف وهوان وقلة حيلة وتعثر جهودنا لاحراز تقدم اقتصادي وسياسي يواكب المتغيرات على الساحتين الاقليمية والدولية وفي رأي المؤلف فان القمع هو اساس كل مشكلات العالم العربي .

● ويتعرض المؤلف لظاهرة انعدام الاحساس بالمسؤولية عند الكثير من العرب، وهذا ما يدفع البعض الى تعمد تدمير الممتلكات العامة من حدائق ووسائل مواصلات وتحطيم المصابيح في الشوارع وعدم المحافظة على نظافة دورات المياه العامة .

●وفي اعتقاد نوتوهارافان اختفاء الاحساس بالمسؤولية يتمخض عنه انعدام الثقة داخل المجتمعات العربية ويحل محلها المنفعة المتبادلة وفتح عشرات القنوات المسهلة لمخالفة القوانين وبسط الحماية لهذه الفئة تعظيما لمكاسبها .

وفي هذا السياق يطرح نوتوهارافان التساؤلات الآتية:

●هل يثق المواطن العربي العربي بأحزابه السياسية وحكامه ؟.

● هل يثق المواطن بالصحافة والقضاء والقوانين المعمول بها ؟.

● هل يثق العاملون بأرباب أعمالهم ؟.

هل يثق الفلاح بالتاجر الذي يشتري محصوله والمشتري بالبائع ؟.

●كل هذه التساؤلات يطرحها المؤلف الياباني ليتابع من خلالها مدى غياب الشعور بالمسؤولية التي تسود سلوكيات المواطن العربي .

الكثير مما يقوله الآخرون عنا لا ينبغي ان يستفزنا بل يجب أن نقف أمامه بالتقييم الموضوعي .. إذا كنا فعلاً نريد تجاوز عيوبنا وأخطائنا كعرب !!.

الوجع المتراكم

نورة بنت مسلم

أكثر من فكرة عبرت في مخيلتي ومارست الحيلة لأقع بها، غير أن الأفكار الأكثر صرامة تأتي بنفسها مجللة بالأحداث الأكثر إيلاماً.

مشهد اغتيال الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي على الهواء كان جزءاً من فيلم درامي كنا نتوقع براعة إخراجه دموياً وجمهرة من البشر المكلومة تلملم الأشلاء هذا الوجع المتراكم الذي أسلمنا أنفسنا له، هل من نهاية له؟ وفي أي نفق تسوقنا هذه الأمداد من العنف والإجرام وضياع فكرة العدالة؟

ما الذي تبقيه لنا مثل هذه الأحداث، ولم يمهل الوقت بعضنا للكتابة عن مشهد بقي في الذاكرة وهو اغتيال الشيخ أحمد ياسين ، بينما كان بعضنا الآخر لم يجف حبره في مرثية أو جدل حول زمام الوضع العالمي وأين تسير اتجاهاته.

هكذا كان مساؤنا ملبداً ومرتبكاً حول هذه البشاعة، وان كنت أركز وأترحم على وقت مضى كانت القنوات الاخبارية فيه توحي لنا بإشارة مسبقة بأن المشاهد الأكثر وجعاً والتي تحتوي تراكم أجزاء البشر نتيجة مثل هذا الإجرام في وأد الحياة، قد ولت وبات الإعلام أكثر قساوة كأنه يجاري أحداث هذا الوقت البشع بكل ما تحمله المعاني جميعها.

توقع أكثرنا ان تستمد الأمور حلولها من نفسها، وان ترتقي إلى حيث يهدأ البركان، وهاهي حالة الانفجار تنفجر بنفسها ، بينما بقي البعض يحاول ان يتجرع شيئاً من التصور لعله يخرج بفكرة غير هذه السائدة، وهي أن لاعدالة ولا منطق، وأن العنف، رغم انكارنا له تكراراً بات لغة توحد هذا العالم وتصنف أروقته اينما حلت به المصائب والمحن، أما القضية الفلسطينية التي يحاولون تغييبها ، فإنها باقية، ولتشهد عليها مثل هذه الصور التي تجسد الإرهاب الصهيوني، ليس بعينه فقط، بل بكامل جسده وتفاصيله البشعة.